# روبرت متشلز

## قانون الأوليغاركية الحديدي

### تقديم

روبرت ميتشلز يعتبر من أبرز رواد سوسيولوجيا السياسة والعمل النقابي، وقد جاءت مساهماته تطبيقا ميدانيا لمشكلات الديمقراطية الحديثة والتنظيم الحزبي،خصوصا في الأحزاب الجماهيرية الاشتراكية التي كان منخرطا فيها، تميز منهجه بكونه نقديا تطبيقيا يستند إلى الملاحظة المباشرة للواقع الحزبي والسياسي في ألمانيا وإيطاليا.

### أولا: التعريف بالشخصية:

روبرت ميتشلز يعد أحد أبرز أعلام السوسيولوجيا السياسية في القرن العشرين وخصوصا تحليل الديمقراطية الداخلية للتنظيمات والأحزاب السياسية.ولد في ألمانيا 1876 لعائلة ميسورة،ودرس في جامعات مرموقة مثل هيدلبرغ وباريس وروما، ما أكسبه تكوينا فكريا متنوعا بين السوسيولوجيا والسياسة والاقتصاد.

انخرط ميشلز مبكرا في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني معتقدا أن التنظيمات العمالية تحمل مشروعا ثوريا ديمقراطيا،لكنه واجه لاحقا خيبة أمل عميقة بعد ملاحظته انحراف القيادات الاشتراكية نحو نخبوية محافظة تسعى للاستمرار في السلطة بدل تحقيق التغيير.

قادته تلك التجربة إلى تطوير نظريته الشهيرة حول القانون الحديدي للأليغارشية،كما تميز بتوجه فكري متقلب،إذ إنتقل من الاشتراكية إلى التعاطف مع الفاشية الايطالية بعد إنتقاله إلى روما وارتباطه بموسوليني،ما أثار سجالات أخلاقية حول اتساقه الفكري لكنه ظل محافظا على أطروحته المركزية، الديمقراطية داخل التنظيمات تتحول لامحالة إلى أوليغارشية. وتوفي عام 1936 في روما تاركا إرثا نظريا قويا مايزال حاضرا بقوة في تحليل المؤسسات السياسية والنقابية وحتى الادارية

### ثانيا: المنطلقات الفكرية النظرية لفكر روبرت ميشلز:

ينطلق ميشلز من سؤال مركزي: هل يمكن للتنظيمات أن تحافظ على طابع الديمقراطية الفعلية مع تعاظم حجمها وتعقد بنيتها؟

تتلمذ على يد ماكس فيبر وتأثر بمفهوم البيروقراطية والعقلنة،كما إستلهم من باريتو أطروحات تداول النخبة،انتقل من الانتماء للاشتراكية إلى نقدها نتيجة خيبة أمل من ممارسات أحزاب العمال التي رآها تبتعد عن قواعدها

**ثالثا: أهم أفكاره:**

**1- فكرة القانون الحديدي للأوليغارشية:صاغها في كتابه الكلاسيكي: Political Parties :A Sociological Study OF the Oligarchical Tendencies of Modern Democracy**

**يؤكد ميشلز أن كل تنظيم مهما كانت مبادئه الديمقراطية يميل حتما إلى ظهور أقلية مسيطرة تحتكر القرار وتمارس الحكم بإسم الجماعة.والأسباب تتمثل في:**

**- التنظيم يحتاج خبرة فنية وإدارية.**

**- الخبرة تتركز في يد الأقلية القيادية**

**- الزمن يرسخ القيادة ويجعلها طبقة مستقلة عن القاعدة**

**- الجماهير تميل إلى الخمول والاعتماد على القادة**

**النتيجة: يتحول التنظيم الديمقراطي إلى أوليغارشية (حكم الأقلية)**

**2- التناقض البنيوي بين الديمقراطية والتنظيم:يرى ميشلز أن الديمقراطية لايمكن أن تتحقق داخل التنظيمات الكبرى ،لأن التنظيم بطبيعته يتطلب:**

- **التراتبية والانضباط، التخصص التقني، مركزية القرار، هذه العناصر رغم ضروريتها الادارية إلا أنها تؤدي إلى خنق الممارسة الديمقراطية ببطء.**

**3- نقد المثالية الديمقراطية: يرفض ميشلز التصور المثالي الذي يفترض أن القاعدة الشعبية قادرة على تسيير شؤون التنظيمات نفسها، ويعتبر أن هذا مجرد وهم سياسي،فالجماهير في نظره تفتقر إلى: المعرفة التقنية وبالتالي فهي تفوض السلطة لقيادات محترفة سرعان ماتصبح نخبة دائمة.**

**4- ظهور الزعيم: يرى ميشلز أن كل تنظيم يحتاج إلى قيادة محترفة تدبر شؤنه اليومية،لكن هذه القيادة تتطور لتصبح نخبة بيروقراطية تمتلك أدوات النفوذ والمتمثلة في:**

**- احتكار المعلومات، السيطرة على الاتصالات، تحديد جدول الأعمال، تمثيل القاعدة في الخارج**

**وبمرور الوقت تفصل القيادة نفسها عن القاعدة ويصبح هدفها الأساسي الاستمرار في السلطة لا الدفاع عن مصالح الأعضاء.**

5- الحتمية التنظيمية:يعتبر ميشلز أن الميل نحو الاليغارشية قانون طبيعي في التنظيم الاجتماعي لااستثناء له، حتى التنظيمات الثورية والاشتراكية التي ترفع شعارات المساواة والمشاركة تتحول مع الزمن إلى هياكل سلطوية هرمية..لذلك يرى أن القانون الحديدي يعلو على النوايا لأن البنية أقوى من الأيديولوجيا.

6- علاقة النخبة بالقاعدة: يظهر مشيلز أن العلاقة بين القيادة والقاعدة ليست متكافئة،فالقادة يمتلكون المعلومات والمهارة والتنظيم،بينما القاعدة تمتلك العدد ولكنها تفتقر إلى الفعالية،وبالتالي فإن التواصل يميل دوما لصالح الأقلية المنتظمة ضد الأغلبية المبعثرة.

7- أثر وسائل الاتصال في تعزيز النخبوية:لاحظ ميشلز مبكرا أن السيطرة على وسائل التواصل الداخلي في الحزب أو النقابة تعتبر أداة لفرض السلطة.فالقادة يتحكمون في الرسائل والجداول والتقارير مما يجعلهم المصدر الوحيد للمعلومة،هذه الفكرة أصبحت اليوم أساسا لتحلي ل اليطرة الاعلامية في التنظيمات الرقمية الحديثة.

8- الانزلاق من الديمقراطية إلى الزعامة: يحلل ميشلز كيف يتحول الزعيم من رمز كارزمي داخل الحزب ،فتمنح له الشرعية ليس فقط من الكفاءات بل من القداسة التنظيمية. ومع الزمن يتحول القائد من خادم الجماهير إلى سيد عليها.

9- اسقاطات فكر ميشلز على الحاضر:

يمثل فكر ميشلز مرجعا مهم لفهم:

- الأحزاب السياسية الحديثة:احتراف القيادة وضعف القواعد
- النقابات:بيروقراطية تمثيلية
- الشركات الكبرى:تركز القرار في مجموعة قليلة
- وسائل التواصل:نخب رقمية تتحكم في الرأي العام
- الأنظمة السياسية: انغلاق النخب الحاكمة واستمراريتها:

## رابعا:القانون الحديدي للأليغارشية:

يعتبر القانون الحديدي للأوليغارشية أكثر مساهمات ميشلز شهرة وتأثيرا وهذا من مقولة "من يحكم التنظيم...يسيطر على الجماهير؛ ومن يسيطر على الجماهير يحكم التنظيم" وتجسيد هذه المقولة فسره بآليات تحول التنظيم الديمقراطي إلى هيمنة نخبويةكالتالي:

- التوسع التنظيمي: الحاجة للخبرة والسرعة في القرار

- صعود قيادة محترفة: تمتلك المهارات والاعلام

- إعادة إنتاج السلطة: عبر التحكم في الترشيحات والموارد

- تشيئ الجماهير: تحويلها إلى مجرد أتباع

ترسيخ الأوليغارشية: وهذا بتراجع المشاركة الفعلية

كلما كان النظام أكثر ديمقراطية من حيث الخطاب،كان أكثر قابلية لاحتضان أوليغارشية من حيث الممارسة.

## خامسا، إسقاطات على التنظيمات الحديثة

الأحزاب السياسية:تزايد الاحتراف السياسي من استبدال المناضلون المتطوعون إلى موظفون دائمون

تركز السلطة عند القيادة العليا وأمناء المال والأعمال،مثال تحول أحزاب اليسار في أروبا إلى إدارات انتخابية بدل حركات اجتماعية

النقابات العمالية: صعود بيروقراطية نقابية بعيدة عن العمال، وأصبحت المفاوضات تتم في الأعلى دون استشارة فعلية للقاعدة،كما أن احتمال التواطؤ مع الدولة أو رجال الأعمال مقابل امتيازات

التنظيمات الحكومية: تعقد الجهاز البيروقارطي:سبب ظهور النخب الادارية غير المنتخبة والمؤثرة في السياسات

شركات التكنولوجيا ووسائل التواصل: ظهور قيادات تقنية تحتكر البيانات والخوارزميات، الموظفون والمستخدمون في موقع التابع،مثال شركات Big Techتصنع القرار الرقمي العالمي دون رقابة ديمقراطية

الحركات الاجتماعية الرقمية: رغم شعارات المشاركة إلا أن سرعان ماتظهر نخب مؤثرة مثل إداريون،مؤثرون،أصحاب المعرفة التقنية وبالتالي الديمقراطية الرقمية قد تتحول إلى ديكتاتورية المشرفين

## سادسا، النقد المعاصر لتجاوز مطب الأوليغارشية:

يمكن حصر النقد في جابين:

جانب القوة ويتمثل في:

- كشف مبكر عن مفارقة الديمقراطية التنظيمية

- فعالية تحليلية في فهم ديناميات السلطة

-استباقه لتحولات الأحزاب والنقابات الحديثة

جانب الضعف ويتمثل في:

- حتمية مبالغ فيها: يعتبر القانون مطلقا وغير قابل للكسر

- تجاهل آليات مقاومة الاليغارشية: مثل التداول والشفافية والمحاسبة

- تركيز سلبي على القاعدة بوصفها سلبية وخاملة دائما

- الخلفية السياسية المتأخرة لميشلز أضعفت مشروعية أطروحته أيديولوجيا بعد تعاطفه مع الفاشية

أما آليات التجاوز فتحدد وفق التالي:

| |
|---|
| توزيع المعرفة بالتكوين الداخلي |
| تحديد عدد الولايات |
| منصات شفافية رقمية |
| استفتاءات دائمة للمنخرطين |
| تقارير محاسبية منشورة دوريا |

**خاتمة:**

كشف ميشلز عن مفارقة بنيوية تتمثل في أن التنظيم كلمازاد ديمقراطية من حيث الخطاب،زادت قابليته للانزلاق نحوحكم الأقلية من حيث الممارسة، ومع أن ميشلز بالغ في حتميته إلا أنه أطروحته ماتزال أداة تحليلية قوية لفهم: الأحزاب والنقابات،البيروقراطيات الحكومية،الشركات الرقمية الضخمة وحتى الحركات الاحتجاجية والفضاءات الالكترونية، وعليه فإن الاستفادة من ميشلز تمر عبر دمج تحليله النقديواضافة آليات ديمقراطية تمنع تشيء القواعد واحتكار السلطة.

... بالتوفيق مع المحاضرة القادمة ...